جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
القاهرة ـ فرع البنات

تفسير سورة « الواقعة »

د / مريم عبد الحميد محمد إبراهيم
أستاذ مساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان،والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم البشير النذير والسراج المنير المبعوث بالكتاب المبين الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين أنزله الله عز وجل على نبيه ﷺ لنقرأه تدبرًا ونصدق به إيمانًا ونجتهد على إقامة أوامره واجتناب نواهيه تعبدًا لنجني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى طاعة الله عز وجل.

وصفه النبي ﷺ بهذا الوصف الشامل الرائع فقال: " فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يَخْلَقُ على كثرة الرَّدِّ ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا ﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ** ﴾ [1] من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم " [2].

وهذا البحث الذي بين أيدينا هو تفسير تحليلي لسورة الواقعة وقد اتبعت في عملي لهذا البحث الآتي:

١ ــ البدء بمقدمة مختصرة عن السورة التي سأتناولها بالشرح.

---

(١) سورة الجن الآيتان ١ ــ ٢.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح،كتاب فضائل القرآن،باب ما جاء في فضل القرآن جـ٥صـ١٥٩، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول.

٢ــ شرح النص القرآني للسورة وتقسيمه إلى مقاطع كل مقطع من الآيات تحت عنوان يعبر عن مضمون في هذا المقطع وأتناول فيه بيان المعنى اللفظي لبعض الكلمات التي تحتاج إلى توضيح وبيان ما يلزم من إعراب لبعض الكلمات مع بيان ما ذكر في سبب النزول إن كان للآيات سبب نزول وشرح النص القرآني بما ورد في التفسير بالمأثور وما جاء في كتب التفسير المعتمدة التي بين يدي.

وفي ختام التفسير التحليلي قمت بتفسير إجمالي للآيات.

وأرجو المولى عز وجل أن أكون وفقت فيما قمت به وأقدم اعتذاري عن كل تقصير وأسأل الله العلي القدير أن يمن عليَّ بالعلم والفهم والصدق والإخلاص في كل ما أقوم به وأن يرزقني التقوى إنه على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).

صدق الله العظيم

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

تفسير سورة الواقعة

تمهيد بين يدي السورة

السورة مكية بإجماع ممن يعتد بقوله من المفسرين، وقيل أن فيها أربع آيات مدنية هي قوله تعالى: ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ *وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ (٢).

وعدد آياتها تسع وتسعون في الحجازي والشامي وسبع وتسعون في البصري وست وتسعون في الكوفي اختلافها أربع عشرة آية (فأصحاب الميمنة)، (أصحاب المشأمة) لم يعدهما الكوفي وعدهما الباقون، (على سرر موضونة) لم يعدها البصري والشامي وعدها الباقون، (وأباريق) عدها المدني الأخير والمكي و لم يعدها الباقون، (وحور عين) عدها المدني الأول والكوفي و لم يعدها الباقون، (ولا تأثيما) لم يعدها المدني الأول والمكي وعدها الباقون، (وأصحاب اليمين) لم يعدها المدني الأخير والكوفي وعدها الباقون، (إنا أنشأناهن إنشاء) لم يعدها البصري وعدها الباقون، (وأصحاب الشمال) لم يعدها الكوفي وعدها الباقون، (في سموم وحميم) لم يعدها المكي وعدها الباقون، (وكانوا يقولون) عدها المكي و لم يعدها الباقون، (إن الأولين والآخرين) لم يعدها المدني الأخير والشامى وعدها الباقون، (لمجموعون) عدها المدني الأخير والشامى و لم يعدها الباقون، (فروح وريحان) عدها الشامى و لم يعدها الباقون. (٣)

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

يعد إبراز السورة بما قبلها وما بعدها إظهار لصورة من صور الإعجاز القرآني، فالقرآن

(١) سورة الواقعة الآيتان ٨١، ٨٢.

(٢) سورة الواقعة الآيتان ٣٩، ٤٠.

(٣) ينظر البيان في عدد آي القرآن جـ١ صـ٢٣٩، بصائر ذوى التمييز ١/٤٥٠.

الكريم تترابط سوره وآياته بعضها مع بعض، فكل سورة ترتبط بما قبلها وبما بعدها مما يجعل القرآن الكريم كله وحدة موضوعية واحدة متكاملة مترابطة، لا فصل بينها، ولأهمية هذه المناسبات ألفت كتب كثيرة في هذا الباب منها ما ألفه العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه (نظم الدرر في تناسب الآي والسور).

وقال السيوطي " وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء سميته (تناسق الدرر في تناسب السور) وعلم المناسبة علم شريف وممن أكثر منه الإمام فخر الدين فقال في تفسيره " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط) [1].

والسورة الكريمة التي بين أيدينا وهي سورة الواقعة ترتبط بما قبلها وهي سورة الرحمن من وجوه:

١ ــ في كل من السورتين وصف القيامة والجنة والنار.

٢ ــ جاء في سورة الرحمن بيان أحوال المجرمين وعذابهم في الآخرة وبيان أحوال المتقين ونعيمهم في الآخرة وجاء في سورة الواقعة ذكر أحوال القيامة وانقسام الناس إلى ثلاث أقسام: السابقون السابقون ثم أصحاب اليمين ثم أصحاب الشمال.

٣ ــ ذكر تعالى في سورة الرحمن انشقاق السماء وذكر هنا رج الأرض فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة، وقد عكس الترتيب فذكر في أول سورة الواقعة ما ذكره في آخر سورة الرحمن، وما ذكره في آخر سورة الواقعة ذكره في أول سورة الرحمن.

(١) الإتقان للسيوطي جـ٢صـ ١٣٨.

فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن ثم ذكر الشمس والقمر ثم ذكر النبات ثم خلق الإنسان والجان ثم صفة يوم القيامة ثم صفة النار ثم صفة الجنة، وبدئت سورة الواقعة بوصف القيامة وأهوالها ثم صفة الجنة ثم صفة النار ثم خلق الإنسان ثم النبات ثم الماء ثم النار ثم ذكرت النجوم التي لم يذكرها في سورة الرحمن كما لم يذكر في الواقعة الشمس والقمر ثم ذكر الميزان فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلك، وكل واحد منهما يدل على علو اسمه وعظمة شأنه وكمال قدرته وعز سلطانه) [1].

أما مناسبة السورة لما بعدها وهي سورة الحديد فالمناسبة بينهما من وجهين:

الأول: ختمت سورة الواقعة بالأمر بالتسبيح وبدئت سورة الحديد بذكر التسبيح من كل ما في السماوات والأرض.

الثاني: أن سورة الحديد واقعة موقع العلة للأمر بالتسبيح في الواقعة فكأنه قيل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [2]؛ لأنه سبح له ما في السماوات والأرض فالله تعالى أمر بالتسبيح ثم أخبر أن التسبيح المأمور به قد فعله والتزمه كل ما في السماوات والأرض) [3].

ما جاء في فضل السورة:

وردت أحاديث في فضل سورة الواقعة منها:

١ ــ أخرج الإمام أحمد عن جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت

(١) تفسير روح المعاني للإمام الألوسي جـ٢٧ صـ١٢٨. والتفسير الكبير للإمام الفخر الرازي جـ٢٩ صـ١٣٩.

(٢) سورة الواقعة الآية: ٩٦.

(٣) التفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٨٧.

صلاته أخف مـن صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور) [1].

٢ ــ أخرج الحافظ أبو يعلي وابن عساكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا " [2].

٣ ــ أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤوها وعلموها أولادكم).

٤ــ أخرج الترمذي عن ابن عباس قال قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات و(عم يتساءلون) و(إذا الشمس كورت) [3]، وسميت السورة بالواقعة لبدء السورة بهذا اللفظ "ولكثرة ما يقع فيها من الشدة أو لشدة وقعها". [4]

أولاً: يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ *لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴾ [5]

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾(إذا) في موضع نصب إما بـ(وقعت) لأن (إذا) فيها معنى الشرط فجاز أن يعمل فيها الفعل الذي بعدها وإما أن العامل فيه ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾ أي وقوع الواقعة وقت رج الأرض وإما العامل ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي ليس لوقعتها

(١) مسند الإمام أحمد جـ٥ صـ١٠٤.

(٢) الحديث ضعيف، رواه ابن عبد البر فى التمهيد جـ٥ صـ٢٦٩، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٢٨٩) المجلد الأول صـ٤٥٧ .

(٣) أخرجه الترمذى كتاب تفسير القرآن باب (ومن سورة الواقعة حديث رقم ٣٢٩٧ جـ٥ صـ٣٧٥.وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وصححه الحاكم على شرط البخارى ووافقه الذهبى، ينظر المستدرك للحاكم جـ٢ صـ٣٤٤.

(٤) تفسير مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى جـ٢٦ صـ١١٢.

(٥) سورة الواقعة الآيات من ١ ــ ٦.

كذب) [1]. وقال الجرجاني (إذا) صلة: أي وقعت الواقعة كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [2] و﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [3] وهو كما يقال: قد جاء الصوم أي دنا واقترب) [4]، والمعنى إذا حدثت القيامة أو قامت القيامة، والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها ووقوعها[5] كما قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ [6].

وسمي يوم القيامة بأسماء عديدة وردت في القرآن الكريم منها:

١ ــ الصاخة قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ [7].

ومعنى الصاخة: هي صيحة تصخ الأذن فتصمها لشدتها فلا تسمع إلا ما تدعي به للإحياء) [8].

٢ ــ الآزفة قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [9].

ومعنى الآزفة: أَزِفَ يأزِفُ أزفًا: اقترب، ودنا.

والآزفة: القيامة لقربها وإن استبعد الناس مداها) [10].

(١) التفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٤٠.

(٢) سورة القمر آية: ١.

(٣) سورة النحل آية: ١.

(٤) تفسير القرطبي جـ٩ صـ١٦٢، وإعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش جـ٩ صـ٤٢٥.

(٥) تفسير البيضاوى جـ٣ صـ٤٣٧.

(٦) سورة الحاقة آية: ١.

(٧) سورة عبس آية: ٣٣.

(٨) لسان العرب جـ٤ صـ٢٤٠٧.

(٩) سورة غافر آية: ١٨.

(١٠) لسان العرب جـ١ صـ٧٣.

٣ ــ القارعة: قال تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ*يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ (١).

القارعة: النازلة الشديدة تترل عليهم بأمر عظيم والمراد بها يوم القيامة) (٢).

٤ــ الصيحة: قال تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٣).

الصيحة: الصياح: صوت كل شيء إذا اشتد والصيحة من صاح يصيح صيحة وهو: رفع الصوت بأقصى طاقته ويكون ذلك في الناس وغيرهم) (٤).

٥ ــ الطامة: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى *يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى *وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾ (٥).

الطامة: هي الصيحة التي تطم على كل شيء ويقال للشيء الذي يكثر حتى يعلو: قد طم ويقال: جاء السيل فطم كل شيء أي علاه ومنه سميت القيامة طامة: وهي تطم على كل شيء) (٦).

وجاء في معنى الواقعة ما ذكره الألوسي (الواقعة: هي الصيحة وهي النفخة في الصور) (٧) ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ الكاذبة مصدر بمعنى الكذب، والمعنى لا يسمع لها كذب، وقيل: "الكاذبة صفة والموصوف محذوف أي ليس لوقعتها حال كاذبة أو نفس كاذبة أي كل

(١) سورة القارعة الآيات ١ ــ ٤.
(٢) لسان العرب جـ٥ صـ٣٥٩٦.
(٣) سورة يس الآيتان ٤٩، ٥٠.
(٤) لسان العرب جـ٤ صـ ٢٥٣٢.
(٥) سورة النازعات الآيات ٣٤ ــ ٣٦.
(٦) لسان العرب جـ٤ صـ ٢٧٠٥.
(٧) روح المعاني للألوسي جـ٩صـ ١٢٩.

من يخبر عن وقعتها صادق، وقال الزجاج (ليس لوقعتها كاذبة) أي لا يردها شيء، وقال الثوري: ليس لوقعتها أحد يكذب بها، وقال الكسائي: ليس لها تكذيب أي ينبغي ألا يكذب بها أحد، وقيل: إن قيامها جد لا هزل فيه) (١).

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ في معناها أقوال (٢) منها:

١ ــ تخفض أقوامًا إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وإن كانوا في الدنيا أعزاء وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم وإن كانوا في الدنيا وضعاء، قاله الحسن وقتادة.

٢ــ تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال.

٣ــ خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين قاله السدى.

٤ــ خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى قاله عكرمة والضحاك وقتادة.

﴿ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ﴾ أي زلزلت وحركت تحريكًا شديدًا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل يقال رَجّه يَرُجّه رجًا أي حركه وزلزله وناقة رجّاءُ أي عظيمة السنام وعن عبد الله بن عباس الرجة: الحركة الشديدة يسمع لها صوت، وموضع (إذا) نصب على البدل من ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ﴾.

ويجوز أن ينتصب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ أي تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبس الجبال لأن عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض، وقيل: أي وقعت الواقعة إذا رجت الأرض قاله الزجاج والجرجاني، وقيل: أي اذكر ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ﴾ مصدر وهو دليل على تكرير الزلزلة) (٣). وهذا كقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ (٤)، ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي فتت قاله عبد الله بن

(١) القرطبي جـ٩صـ ١٦٣.
(٢) الأقوال ذكرها الإمام ابن كثير في تفسيره جـ٧صـ ٤٨٩.
(٣) تفسير القرطبي جـ٩ صـ١٦٤،وتفسير الألوسى جـ٢٩ صـ١٣١.
(٤) سورة الزلزلة الآية: ١.

عباس رضي الله عنه، وقيل: سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم إذا ساقها فهو كقوله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [2]، ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ أي غبارًا منتشرًا " قال سيدنا علي رضي الله عنه: " الهباء المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب الرهج: الغبار، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: هو ما يثور مع شعاع الشمس إذا دخلت من كوه، ويؤخذ من المعاني السابقة أن المراد مطلق الغبار، وفي الآية دلالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها وصيرورتها كالعهن المنفوش[3]. قال تعالى:

﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [4].

وقرأ مسروق والنخعي وأبو حيوة " مُنبتًّا " بالتاء أي منقطعًا من قولهم بته الله أي قطعه[5].

المعنى الإجمالى للآيات [١ ــ ٦]

تبدأ سورة الواقعة بوصف قيام القيامة، وصفها المولى عز وجل بالوقوع لأنها تقع لا محالة أى: إذا وقعت الواقعة التى لابد من وقوعها فإذا وقعت يعترف بها كل أحد، ولا يتمكن أحد من إنكارها، والآيات الكريمة تذكر لنا مشاهد من يوم القيامة، ففى هذا اليوم تتبدل أحوال الناس والكون، ففيه ترفع أقوام، وتخفض أقوام، ترفع المؤمنين فى درجات الجنة، وتخفض الكافرين فى دركات النار، ترفع أقوام كانت عزتهم بالله تعالى وبرسوله ﷺ

(١) سورة النبأ الآية: ٢٠.

(٢) سورة التكوير الآية: ٣.

(٣) ابن كثير جـ٧صـ ٤٨٩.

(٤) سورة القارعة الآية: ٥.

(٥) القرطبي جـ٩صـ ١٦٥.

وخافضة أقوام كانوا أعزه بالباطل والكذب، وفى هذا اليوم تتبدل أحوال الأرض من هول الزلزلة، تبدل الأرض غير الأرض فتصير الأرض المنخفضة كالجبال الراسية، والجبال الراسية كالأرض المنخفضة، وصارت غبارًا متفرقًا وذرات متناثرة.

والآيات القرآنية الكريمة تدل على قدرة الله تعالى وعلى وقوع القيامة وأن وقوعها أمر ثابت لا ريب فيه لا يستطيع أحد تكذيبه عند حدوثه كما كان يحصل فى الدنيا ولا يملك أحد أن يرده أو يدفعه [1].

(١) ينظر تفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ١٤٣، وتفسير البيان للطبرسي جـ٢٦ صـ١١٣ بتصرف.

ثانيًا: أصناف الناس يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَة * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَة ﴾ أي كنتم أصنافًا ثلاثة مروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وقال ميمون بن مهران: (أفواجًا ثلاثة وعن مجاهد فرقًا ثلاثة) (٢).

يبين المولى عز وجل من هم الأصناف الثلاثة فقال عن الصنف الأول: (فأصحاب الميمنة)، " وهم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم إلى الجنة، وقيل: هم أصحاب اليمن والبركة على أنفسهم والثواب من الله تعالى بما سعوا من الطاعة وهم التابعون بإحسان قاله الحسن والربيع (٣) وتسميتهم بأصحاب الميمنة إما لكونهم من جملة من كتبهم بأيمانهم، وإما لكون أيمانهم تستنير بنور من الله تعالى (٤) كما قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (٥)، وقوله عز وجل: ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ لتفخيم شأنهم وتعظيم أمرهم.

وابتدأ بأهل اليمين ثم بأهل الشمال للترغيب بالثواب ثم الترهيب بالعقاب بعد التخويف من الواقعة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ وهم الذين يتناولون كتبهم

(١) سورة الواقعة الآيات ٧ ــ ١٢.
(٢) ابن كثير جـ٧صـ ٤٩٠.
(٣) تفسير مجمع البيان للطبرسى جـ٢٦ صـ١١٣.
(٤) تفسير الفخر الرازى جـ٢٩ صـ١٤٣.
(٥) سورة التحريم الآية: ٨.

بشمائلهم ويؤخذ بهم إلى النار والشؤم خلاف اليمن. (وقيل: شأم فلان على أصحابه إذا أصابهم شؤم من قبله، والشأمة خلاف اليمنة والمشأمة خلاف الميمنة) (١)، وقوله تعالى: ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ تعظيم شأنهم وسوء الحال لهم. ويقال يا فلان شائم بأصحابك: أي خذ بهم شأمة أي ذات الشمال، والعرب تقول لليد الشمال الشؤمى وللجانب الشمال الأشأم) (٢)، أخرج الإمام أحمد عن البراء عن الحسن عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ فقبض قبضتين فقال: هذه للجنة ولا أبالي وهذه للنار ولا أبالي) (٣)، "وقال ابن جريج: أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات) (٤) وجاء في صحيح مسلم من حديث الإسراء عن أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: "فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أَسْوِدة (٥) وعن يساره أَسْوِدة قال فإذا نظر قِبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت: يا جبريل من هذا قال: هذا آدم عليه السلام وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نَسَم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار..) (٦). قوله تعالى:

(١) لسان العرب جـ ٤ صـ ٢١٧٧.
(٢) تفسير القرطبى جـ٩ صـ١٦٥.
(٣) مسند الإمام أحمد جـ٥صـ٢٣٩ فى إسناده انقطاع بين الحسن ومعاذ، والبراء ضعيف.
(٤) تفسير القرطبى جـ٩ صـ١٦٥.
(٥) أسوده: السَّوادُ وَالأَسْوِداتُ والأساوِد: جماعة من الناس، وقيل: هُمُ الضروب المتفرقون،ويقال: رأيت سوَادَ القوم، أى معظمهم. ينظر لسان العرب جـ٣ صـ٢١٤١، وذكر بن حجر العسقلانى فى معناها: هى الأشخاص من كل شىء.ينظر فتح البارى جـ١ صـ٥٥٠.
(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات جـ١صـ ١٤٨.

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ الواو عاطفة، والسابقون مبتدأ، والسابقون تأكيد، وأولئك مبتدأ، والمقربون خبره، والجملة خبر السابقون واختار الزمخشري أن يكون السابقون خبرًا وليس تأكيدًا قال: " والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله: وعبد الله عبد الله وقول أبي النجم " وشعري شعري " كأنه قال وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته و﴿ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون ﴾ خبرًا)[1].

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ هم الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة، قال الألوسي: ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأصناف وأقدمهم في الفضل ليرد ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم أخرج الإمام أحمد قال: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: " أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم)[2].

واختلف في تعيينهم إلى أكثر من قول[3]:

١ ــ الأنبياء عليهم السلام قاله مجاهد.

٢ ــ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ يوشع ابن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل (يس) سبق إلى عيسى عليه السلام وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه سبق إلى محمد رسول الله ﷺ.

(١) الكشاف للزمخشري جـ٤ صـ ٥٢.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٦صـ ٦٩. في إسناده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٧صـ٤٩٠، ٤٩١، وتفسير الألوسي جـ٩ صـ١٣٢، وتفسير القرطبي جـ٩ صـ ١٦٦.

٣ ــ عن مقاتل وعكرمة هم السابقون إلى الهجرة.

٤ ــ هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان.

٥ ــ وقال ابن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾[1].

٦ ــ وعن علي كرم الله تعالى وجهه هم السابقون إلى الصلوات الخمس وإلى الجهاد.

٧ ــ عن ابن جبير: هم السابقون إلى التوبة وأعمال الخيرات كما أمروا كما قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ[3] ﴾.[4] ﴿ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون ﴾ الإشارة: بقوله تعالى أولئك لعلو درجتهم ورفعة مكانتهم.

﴿ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون ﴾ (الجملة مبتدأ وخبر، والجملة استئناف بياني، وإنما لم يقل: (والسابقون ما السابقون) على منوال الأولين لأنه جعل أمرًا مفروغًا مسلمًا مستقلاً في المدح والتعجيب، والإشارة بأولئك إلى السابقين، وما فيه من معنى البعد، مع قرب العهد بالمشار إليه: للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل، و(المقربون) من القربة بمعنى الحظوة أي: أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل الذين أنيلوا حظوة ومكانة عند الله تعالى. قال تعالى: ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ متعلق بالمقربون، أو بمضمر هو حال من ضميره أي

(١) سورة التوبة آية: ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٣٣.

(٣) سورة الحديد آية: ٢١.

(٤) والقول الراجح من هذه الأقوال: أن المراد بالسابقين هم: المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا لأن الأقوال السابقة كلها تدخل ضمن هذا المعنى.

كائنين في جنات النعيم وعلى الوجهين فيه إشارة إلى أن قربهم محض لذة وراحة وفي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ إشارة إلى اللذة الروحية والإخبار الثاني ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾للإشارة إلى اللذة الجسمانية) [1].

المعنى الإجمالى للآيات [٧ ــ ١٢]

تبين الآيات أحوال البشر فى هذا اليوم العظيم وتقسمهم إلى ثلاثة أصناف، صنفان فى الجنة وصنف ثالث فى النار.

الصنف الأول: أصحاب اليمين الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم وهم أصحاب الجنة وقال تعالى ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ لتفخيم شأنهم وتعظيم أمرهم، وابتدأ المولى عز وجل بأهل اليمين ثم بأهل الشمال للترغيب بالثواب والترهيب بالعقاب، بعد التخويف من الواقعة، والصنف الثانى: أصحاب الشمال وهم الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم وهم أصحاب النار وفى قوله تعالى ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ تعجيب من حالهم بالشقاء. الصنف الثالث: السابقون وهم المقربون إلى جزيل ثواب الله وعظيم كرمه وهم الذين لا حساب عليهم ويسبقون الخلق ويشفعون للغير، وهؤلاء أعلى منزلة من أصحاب اليمين، وذكر الإمام الفخر الرازى "الحكمة فى الابتداء بأصحاب اليمين والانتقال إلى أصحاب الشمال ثم إلى السابقين مع أنه فى البيان بين حال السابقين ثم أصحاب الشمال على الترتيب، والجواب ذكر الواقعة وما يكون عند وقوعها من الأمور الهائلة إنما يكون لمن لا يكون عنده من محبه الله تعالى ما يكفه مانعًا عن المعصية، وأما الذين سرهم مشغول بربهم فلا يحزنون بالعذاب، فلما ذكر تعالى " إذا وقعت الواقعة " وكان فيه من التخويف ما لا يخفى، وكان التخويف بالذين يرغبون ويرهبون بالثواب والعقاب أولى، ذكر ما ذكره لقطع العذر لا نفع الخبر،

(١) روح المعاني جـ٩صـ ١٣٣، ١٣٤.

وأما السابقون فهم غير محتاجين إلى ترغيب أو ترهيب، فقدم سبحانه أصحاب اليمين الذين يسمعون ويرغبون، ثم ذكر السابقين ليجتهد أصحاب اليمين ويقربوا من درجتهم)[1].

(١) ينظر تفسير الفخر الرازى جـ٢٩ صـ١٤٣.

ثالثًا: أنواع نعيم السابقين

قال تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ* وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ* وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ* جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا* إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلة أي جماعة من الناس، وثلة بمعنى فرقة، وقال الفراء: الثلة: الفِئة وفي كتابه ﷺ لأهل نجران: إن لهم ذمة الله وذمة رسوله على دمارهم وأموالهم وثُلّتِهم)(٢). (ثلة) إما مبتدأ مؤخر وخبره ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ المتقدم عليه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم ثلة و﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ معطوف عليه) (٣).

وفي معنى ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ*وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ قولان **الأول**: أن السابقين السابقين المقربين هم جماعة كثيرة لا يحصر عددهم من الأمم السابقة من لدن آدم إلى نبينا محمد ﷺ وقليل من هذه الأمة وسموا قليلاً بالنسبة إلى من كان قبلهم وهم كثيرون لكثرة الأنبياء فيهم وكثرة من أجابهم) (٤) والدليل على أن (القليل) من أمة محمد ﷺ ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ شق ذلك على

(١) سورة الواقعة الآيات ١٣ ــ ٢٦.
(٢) لسان العرب جـ١صـ ٥٠١.
(٣) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٢٧.
(٤) التفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٤٧.

أصحاب النبي ﷺ فنزلت ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ*وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ فقال النبي ﷺ إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة،بل أنتم نصف أهل الجنة، أو شطر أهل الجنة، وتقاسمونهم النصف الثاني)(١). **الثاني**: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ أي من صدر هذه الأمة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ أي من هذه الأمة وروي عن الحسن عندما أتى على هذه ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين وفي رواية أخرى عنه ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ قال ثلة ممن مضى من هذه الأمة وعن ابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها) (٢)، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (٣)، وثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفًا يدخلون بغير حساب وفي لفظ " مع كل ألف سبعون ألفًا وفي آخر مع كل واحد سبعون ألفًا) (٤)، وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي قال رسول الله ﷺ: (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تبارك وتعالى) (٥) وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها سيدنا محمد ﷺ فإنه أشرف الخلق وأكرم الرسل على الله وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيًا قبله ولا رسولاً من الرسل فهذه الأمة من

(١) مسند الإمام أحمد جـ٢صـ ٣٩١ فى إسناده محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسره وأبوه وكلاهما قال عنه الحافظ فى التقريب: مقبول وشريك وهو ابن عبد الله النخعى وهو ضعيف من قبل حفظه، تفسير ابن كثير جـ١٣صـ ٣٥٢.
(٢) تفسير ابن كثير جـ٧صـ ٤٩٢،٤٩٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ جـ٥صـ ٣١٢.
(٤) مسند الإمام أحمد جـ١صـ ٦ / ١٩٧.
(٥) أخرجه الترمذى كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران حديث ٣٠٠١ جـ٥ صـ٢٧، وحسنه الترمذى، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٤صـ ٤٤٧، جـ١صـ ١٢٦.

أشرف سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها،ويفهم من كلام ابن كثير ترجيحه للرأي الثاني) [1].

ثم وصف الله تعالى حال المقربين قال تعالى: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ الموضونة: المنسوجة أي منسوجة بالدُّرِّ والجوهر، بعضها مُداخل في بعض) [2]. أي مجالسهم على سرر منسوجه بالذهب قاله عبد الله بن عباس رضي الله عنه وقيل: مشبكة بالدرر والياقوت والزبرجد والذهب متكئين على السرر متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض بل تدور بهم الأسِرة فهم في بسط وسرور) [3].

وقوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أي يدور عليهم غلمان لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون للخدمة وقيل على سن واحدة أنشأهم الله لأهل الجنة يطوفون عليهم . أخرج مسلم فى صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت توفى صبي فقلت: طوبي له عصفور من عصافير الجنة فقال ﷺ: أو لا تدرين أن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً) [4]. وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه والحسن البصري: (الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارًا ولا حسنة لهم ولا سيئة، وقال سلمان الفارسي: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة) [5].

قوله تعالى: ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ أكواب جمع كوب وهي الآنية التي لا عُرى لها ولا خراطيم والأباريق التي لها عُرى وخراطيم ﴿ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ وكؤوس

(١) ابن كثير جـ٢صـ ٧٨، جـ٧صـ ٤٩٣.

(٢) لسان العرب جـ٦ صـ ٤٨٦٢.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير جـ٧ صـ٤٩٥،والتفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٤٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة جـ٤ صـ٢٠٥٠.

(٥) تفسير القرطبي جـ٩صـ ١٦٩.

من خمر جارية من العيون) [1].

قوله تعالى: ﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴾ أي لا تتصدع رؤوسهم من شربها ولا يسكرون منها فتذهب عقولهم كخمر الدنيا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال. في قوله تعالى: ﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴾ فن الإيجاز فقد جمع في هاتين الكلمتين جميع عيوب الخمر في الدنيا) [2].

وقوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أي ولهم من ثمار الفاكهة ما يختارونه ويأخذون خيره وأفضله، يقال تخيرت الشيء أخذت خيره، ويأكلون أنواع لحوم الطيور التي يتمنونها وتشتهيها نفوسهم بما لذ وطاب.

وذكر الفخر الرازي في الحكمة في تقديم الفاكهة على اللحم من وجوه: الأول: العادة في الدنيا التقديم للفواكه في الأكل، والجنة وضعت بما علم في الدنيا من الأوصاف وعلى ما علم فيها، ولا سيما أهل الشرب. ثانيها: الحكمة في الدنيا تقتضي أكل الفاكهة أولا لأنها أقل حاجة إلى المكث الطويل في المعدة للهضم ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها. وثالثها: أنه تعالى لما بين أن الفاكهة دائمة الحضور والوجود واللحم يشتهي ويحضر عند الاشتهاء دل هذا على عدم الجوع، لأن الجائع حاجته إلى اللحم أكثر من اختياره اللحم فقال (وفاكهة) لأن الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا فيميل إلى

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٩ صـ١٥٠،وتفسير ابن كثير جـ٧ صـ٤٩٥،وتفسير روح المعانى للألوسى جـ٢٧ صـ١٣٦.

(٢) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٣٠.

الفاكهة أكثر فقدمها) [1]. يلاحظ من كلام الإمام الفخر الرازى قوله بفائدة أكل الفاكهة قبل اللحم ويكون بهذا قد سبق العلم الحديث الذى أكد فى أبحاث كثيرة على فائدة أكل الفاكهة قبل الطعام وقبل اللحم فهو أسهل للمعدة وللصحة عامة.

وروي الترمذي عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ؟ قال: ذاك نهر أعطانيه ربى عز وجل أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجَزَر [2] قال عمر: إنها لناعمة قال رسول الله ﷺ:" أكلها أنعم منها " [3].

قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ أي ولهم نساء حور بيض مع شدة سواد العين، وشدة بياض بياضها، وواسعات العين.وفي النص القرآني تشبيه مرسل مجمل، وحذف منه وجه الشبه، أي: كأمثال اللؤلؤ في بياضه وصفائه، وقيل هو الصون. والحور: أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حولها وقيل: الحور شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض الجسد) [4]، والكاف في قوله تعالى: ﴿ كَأَمْثَالِ ﴾ للمبالغة في التشبيه، وقرأ حور بالرفع وفيه أوجه: أحدها هو معطوف على ولدان، أي: يطفّن عليهم للتنعيم لا للخدمة، والثاني: هو مبتدأ خبره محذوف، أي: لهم حور، أو وثم حور، ويقرأ بالنصب على تقدير يعطون، أو يجازون حورًا، ويقرأ بالجر عطفًا على أكواب في اللفظ دون المعنى، لأن الحور

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ١٥٣.

(٢) الجَزَر: الجَزَرُ كل شيء مباح للذبح والواحد جَزَرة، والجَزَرُ: الشياه السمينة ولا تكون الجزرة إلا من الغنم ولا يقال أجزرته ناقة لأنها قد تصلح لغير الذبح. ينظر لسان العرب جـ١ صـ٦١٤.

(٣) الترمذي كتاب الجنة،باب ما جاء في صفة طير الجنة، حديث رقم (٢٥٤٢) جـ٤صـ ٦٨٠.الحديث رواه الترمذى عن عبد بن حميد، عن العضبى، عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب، عن أبيه، عن أنس، وقال حسن، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة حديث رقم (٢٥١٤).

(٤) لسان العرب جـ٢ صـ ١٠٤٣.

لا يُطاف بهن، وقيل: معطوف على جنات، أي: في جنات وفي حور، وعين صفة الحور)[1].

﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي يكون لهم كل ما ذكر جزاء على أعمالهم ومجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ اللغو: هو ما لا يعتد به من الكلام ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع) [2] والمعنى [3]: (لا يسمعون في الجنة كلامًا خاليًا عن المعنى، أو مشتملاً على معنى ضعيف كما قال تعالى: ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [4]، ولا يسمعون فيها كلامًا فيه قبح فهم لا يسمعون فيها إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [5].

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ إلا: أداة استثناء والاستثناء منقطع و(قيلاً) مستثنى منقطع واجب النصب. و(سلامًا سلامًا) فيه أوجه: أحدها: أنه بدل من (قيلاً) أي لا يسمعون فيها إلا سلامًا سلامًا والثاني: أنه نعت قيلاً والثالث: أنه منصوب بـ (قيلاً) لأنه مصدر، أي: إلا أن يقولوا سلامًا سلامًا، والرابع: أن يكون مفعولاً مطلقًا لفعل محذوف، أي: سلموا سلامًا) [6].

(١) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٢٩.

(٢) لسان العرب جـ٥ صـ ٤٠٤٩.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير جـ٧ صـ٤٩٩،والتفسير المنير جـ٢٨ صـ٢٥٠.

(٤) سورة الغاشية آية: ١١.

(٥) سورة إبراهيم الآية: ٢٣.

(٦) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٢٩.

المعنى الإجمالى للآيات [١٣ ــ ٢٦]

بيان للصنف الثالث من البشر وتفصيل ما أعده الله عز وجل لهم فى الآخرة ومكانتهم عند ربهم فقال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ*وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ يبدأ فى بيان هذا النعيم،فأول هذا النعيم، نعيم القرب من ربهم،وهو نعيم لا يساويه نعيم، ومع هذا النعيم العظيم فلهم من الله عز وجل جنات نعيم بكل ما فيها من تنعم، وراحة، وتلذذ، وإقامة دائمة فى جنات النعيم، ثم تبين لنا الآيات من هم أصحاب هذه المنزلة إنهم جماعة من الأولين وقليل من الآخرين والقول بأن الأولين والآخرين هم من أمة سيدنا محمد ﷺ فالأولون من صدرها،والآخرون من متأخريها، وهذا الرأى أرى أنه الصحيح من الأقوال الواردة فى تفسير الآية والسبب فى اختيار هذا الرأى الإستناد إلى ما روى من أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ فى مكانته عند الله تعالى ومكانة أمته ﷺ بين الأمم، وقد ذكرت الأحاديث الدالة على ترجيح الرأى المرجح فى التفسير التحليلى للآيات القرآنية، وبعد بيان من هم، يأخذ فى تفصيل مناعم الجنة التى أعدت لهم فهم على سرر مشبكة بالمعادن الثمينة مستقرين على السرر متكئين عليها متقابلين مواجهه فهم فى سرور وسعادة ويطوف عليهم ولدان لا يؤثر فيهم ما يتركه الزمن بالبشر فهم شباب لا يهرمون، ولا يتغيرون، يطوفون عليهم بأكواب من خمر صافية من الجنة، لا تتصدع رؤوسهم من شربها، ولا يسكرون منها فتذهب عقولهم، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال التى توجد فى خمر الدنيا، ولهم أيضًا فاكهة مما يختارونها وأنواع لحوم الطيور التى يتمنونها وتشتهيها نفوسهم مما لذا وطاب، وقدم المولى عز وجل تقديم الفاكهة على اللحم لما فى ذلك من اليسر فى الهضم، وتهيئة للنفس للطعام ،

وقد أثبت العلم الحديث أن أكل الفاكهة قبل الطعام أفيد وأصح للمعدة، وأكثر تحريكًا لشهوة الأكل، وتساعد على سهولة الهضم، ولهم نساء حور بيض كأمثال اللؤلؤ والدرر المستورة التى لم تمسها الأيدى، وكل ذلك العطاء من المولى عز وجل مكافأة على أعمالهم وعلى ما أحسنوا من العمل فى دار الدنيا دار العمل، وهم بعد ذلك كله يجيون فى هدوء وطمأنينة لا يسمعون فى الجنة كلامًا لاغيًا أو مشتملاً على معانى ساقطة أو فيها قبح، فهم لا يسمعون إلا كل كلام طيب وحياتهم كلها سلام، سلام بينهم وسلام من الملائكة عليهم ويبلغهم السلام الرحمن الرحيم وختام النعم بهذه النعمة العظيمة وهى السلام فيها من الدلالة على أهميتها بالنسبة للإنسان فبها تكتمل سعادة الإنسان وراحته ونعيمه.

رابعًا: أنواع نعيم أصحاب اليمين

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ* وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ* وَمَاء مَّسْكُوبٍ* وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ* وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ* إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لأَصْحَابِ الْيَمِينِ* ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ (١).

لما بين سبحانه وتعالى مآل السابقين وما أعدلهم من نعيم شرع سبحانه وتعالى في بيان أحوال أصحاب اليمين، وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ كلام مستأنف مسوق للشروع في تفصيل ما أجمل أولاً، ومنزلة أصحاب اليمين دون منزلة المقربين، فهم أقل درجة في النعيم من السابقين.

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ السدر (٢): شجر النبق ومخضود: أصل الخضد الذي لا شوك له يقال خضد الشجر: قطع شوكة، ومنه ما روي عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب النبي ﷺ يقولون إنه لينفعنا الأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يومًا فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ؟ فقال رسول الله ﷺ وما هي ؟ قال: السدر فإن له شوكًا مؤذيًا. فقال رسول الله ﷺ:" أليس الله يقول: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمرًا تَفتق الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر) (٣).

قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ الطلح: شجر عظام بأرض الحجاز، وقيل: شجر الموز،

(١) سورة الواقعة الآيات ٢٧ ــ ٤٠ .

(٢) السدر: شجر النبق واحدتها: سدرة وجمعها: سدرات، وقيل السدر لونان: فمنه عُبرىٌ، ومنه ضالٌ، فأما العُبرىُّ فما لا شوك فيه إلا ما لا يضير، وأما الضَّالُ فهو ذو شوك. ينظر لسان العرب جـ٣ صـ١٩٧١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٢ صـ٤٧٦ وصححه ووافقه الذهبي.

وقيل: كل شجر عظيم كثير الشوك، و"منضود" متراكم الثمر مرصوص بعضه فوق بعض بنظام، والمعنى: أنهم يتمتعون في جنات ذات شجر مورق كثير الورق مقطوع الشوك وشجر موز منضد متراكب الثمر بعضه فوق بعض) (١).

قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾(٢)، وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿ وَمَاء مَّسْكُوبٍ﴾ أي: يجرى على وجه الأرض من غير حفر) (٤). وقال الثورى: يجرى فى غير أخدود) (٥).

﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة، وقيل: جاء تكرار ذكر الفاكهة لبيان اختلاف صفاتها فذكرت أولاً بأنها مما يتخيرون، وذكرت ها هنا بأنها كثيرة، وبأنها لا مقطوعة، ولا ممنوعة، كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء في أوقات مخصوصة" ووصف الفاكهة بالكثرة لا بالطيب واللذة لأن طيبها معروف بالطبيعة والمقصود بيان الكثرة والتنوع لإفادة التنعم الواسع وقدم كونها غير مقطوعة على المنع لأن القطع للموجود والمنع بعد الوجود لأنها توجد أولاً ثم تمنع) (٦).

قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي: عالية، وقيل: معناه ونساء مرتفعات القدر فى عقولهن

(١) لسان العرب جـ٤ صـ٢٦٨٦ ــ ٢٦٨٧، جـ٦ صـ٤٤٥٣.

(٢) سورة الفرقان آية: ٤٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الواقعة جـ٣ صـ١٩٨.

(٤) لسان العرب جـ٣ صـ٢٠٤٥.

(٥) تفسير ابن كثير جـ٨ صـ٧.

(٦) تفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ ١٦٥.

وحسنهن وكمالهن، وقيل: أهل اليمين يجلسون وينامون على فرش مرفوعة على الأسرة)[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا* عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ الآية الكريمة تقوى القول الذي حمل الفرش على النساء. والمعنى " جعلناهن أبكارًا لا ثيبات، وكن عربا متحببات إلى أزواجهن، وقيل: "العُرب العواشق لأزواجهن" [2] و(أترابًا)أي مستويات في سن واحد. أخرج الترمذي عن معاذ مرفوعًا "يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة" [3]. وقيل معنى الأتراب هنا: الأمثال إذ ليست هناك ولادة) [4].وقيل: على ميلاد واحد في الاستواء وسن واحد وأشكالاً واحدة فهم على سن واحد وأخلاق واحدة لا تباغض بينهن ولا تحاسد) [5].

قوله تعالى: ﴿ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أي جميع ما تقدم ذكره لهم جزاء وثوابًا على طاعتهم.

قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾

في معنى ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ* وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ قولان:

الأول: هم جماعة من الأولين وهم مؤمنوا الأمم الماضية وجماعة من الآخرين وهم المؤمنون بالنبي ﷺ إلى قيام الساعة) [6].

الثاني: قال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن رباح والضحاك ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ يعني من

(١) ينظر التفسير المنير جـ٢٧،وتفسير روح المعاني جـ٢٧ صـ١٤١، وتفسير مجمع البيان جـ٢٦ صـ١٢٠.

(٢) لسان العرب جـ٤ صـ ٢٨٦٧.

(٣) أخرجه الترمذى،كتاب صفة الجنة باب ما جاء فى سن أهل الجنة حديث رقم ٢٥٤٨ جـ٧ صـ٢٢٤ قال عنه "حديث غريب" وفى إسناده شهر بن جوشيه وهو ضعيف.

(٤) لسان العرب جـ١ صـ٤٢٥.

(٥) تفسير القرطبى جـ٩ صـ١٧٦، وتفسير ابن كثير جـ٧ صـ١٢.

(٦) التفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٥٦،وتفسير القرطبى جـ٩ صـ١٦٧.

سابقي هذه الأمة ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴾ من هذه الأمة من آخرها) [1] يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ عرضت على الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ما هذا ؟ أمتي هذه ؟ قيل هذا موسى وقومه، قيل انظر إلى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق ثم قيل لي انظر ههنا وههنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب. ثم دخل ولم يبين لهم فأفاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون) [2].

والقول الراجح يرجحه ما جاء من أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ توكد المعنى الثاني، ولما سبق وذكرته من قبل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ روي عن كثير من المفسرين ترجيحهم للقول الثاني، ومنهم الإمام ابن كثير والإمام الفخر الرازي والإمام القرطبي، قال الإمام ابن كثير في تفسيره "وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها سيدنا محمد ﷺ فإنه أشرف الخلق، وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيًا قبله ولا رسولاً من الرسل فهذه الأمة من أشرف سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف وعظم نبيها ﷺ)[3].

ولم يذكر هنا كون الجزاء مقابل العمل كما فعل في حق السابقين لأن عمل أصحاب

(١) تفسير القرطبي جـ٩ صـ ١٧٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب الطب ـ باب اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو جـ٤ صـ ١١ ـ ١٢.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٧ صـ ٤٩٣.

اليمين أقل من عمل السابقين، فلم يحتج للتنويه به، وإشارة إلى أن الله غمر أهل اليمين بالفضل والرحمة والإحسان) [1].

المعنى الإجمالي للآيات [٢٧ ــ ٤٠]

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ... ﴾ الآيات الكريمة تفصل ما لأصحاب اليمين من النعيم والعطاء، وأصحاب اليمين هم: أصحاب الميمنة الذين أشار إليهم تلك الإشارة المجملة في أول السورة عند قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ إنهم في درجة عالية ومنزلة كريمة، ولكن منزلتهم دون المقربين، فهم أقل درجة في النعيم من السابقين، فأشجارهم وفواكههم وما يؤتون به من النعيم لا يبلغ درجة ما يناله أصحاب السبق، ولكن لهم من الله تعالى الجزاء الكريم، فهم يتمتعون في جنات ذات شجر كثير الورق، مقطوع الشوك، وشجر موز متراكب الثمر بعضه فوق بعض، معد للتناول بلا كدر، ولا مشقة، ولهم ماء مسكوب من فوق جاء في غير أخدود، سهل عليهم تناوله لا مشقة عندهم في تناوله كما كان حالهم في الدنيا، ولهم فاكهة كثيرة ليست كفواكه الدنيا فهي ليست ممنوعة عنهم في أي وقت بل في متناول أيديهم فهي ليست ممنوعة ولا مقطوعة ولهم فرش، والفرش: جمع فراش وهو ما يفترش للجلوس عليه والنوم وقيل: الفرش مجاز عن النساء، وقيل: يقصد به الحور العين، والنعمة بالتمتع بالنساء هنا لها من الخصوصية ما يميزها عن التمتع بالنساء في الدنيا فتمتعهم بالنساء أنهم كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكار ومتحببات إلى أزواجهن، أنشأهن الله عز وجل لأصحاب اليمين الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وأصحاب اليمين في الجنة هم جماعة

(١) التفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٥٦.

عظيمة من الأمم السابقة وجماعة أخرى من الأمم اللاحقة فهم أكثر عددًا من السابقين المقربين) [1].

(١) ينظر تفسير القرطبي جـ٩صـ١٧٦ وتفسير ابن كثير جـ٧صـ٤٩٣ بتصرف.

خامسًا: أنواع عذاب أهل الشمال

قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ *فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ *فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ *فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ *فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ *هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١).

بعد بيان أحوال فريقين من الأصناف الثلاثة يوم القيامة وهما السابقون وأصحاب اليمين بين الله تعالى حال أصحاب الشمال وجزاؤهم ليظهر الفرق جليًا بين عاقبة الطاعة ومآل المعصية مع بيان سبب ذلك العذاب وهو الترف الذي أنساهم المنعم الحقيقي وهو الله عز وجل وأوقعهم في الشهوات الدنيوية وبسبب شركهم وبسبب إنكارهم يوم البعث.

قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ قيل في المعنى ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم.

الثاني: هم الذين يأخذون كتبهم بشمالهم.

الثالث: الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد (٢) القول الراجح من الأقوال هو القول الثاني وعليه أكثر المفسرين.

(١) سورة الواقعة الآيات ٤١: ٥٦.

(٢) ينظر مجمع البيان جـ٢٦صـ١٢٣،روح المعاني جـ٢٧ صـ١٣١.

قوله تعالى: ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾ السموم: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن، والحميم: الشديد الحرارة من الماء) (١)، ومنه قوله تعالى:﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ اليحموم: هو الدخان الأسود الشديد السواد باحتراق النار، وقيل: معناه القطعة من الفحم (٤) "وروي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه سرادق النار المحيط بأهلها، يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم.

وقال ابن زيد: هو جبل في النار أسود يفزع أهل النار إلى ذراه فيجدونه أشد شيء، وتسميته ظلاً على التشبيه التهكمي"(٥) . قوله تعالى: ﴿ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴾ لما أخبرنا المولى عز وجل بأن أصحاب الشمال لهم ظل من يحموم، فقد يتوهم أن هذا الظل ربما جلب لهم شيئًا من الراحة بعد التعب، فأتبعه بصفتين وهما لا بارد ولا كريم، أي: لا بارد كسائر الظلال، ولا نافع لمن يأوى إليه من أذى الحر، فالمعنى: أنه ظل حار ضار لا فائدة منه) (٦)، (وقال قتادة: ليس طيب الهبوب، ولا كريم المنظر) (٧) ونظير الآية قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ* انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ* لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ* إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ* كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ (٨).

(١) لسان العرب جـ٣صـ٢١٠٣، جـ٢ صـ١٠١٠.

(٢) سورة الحج الآية: ١٩.

(٣) سورة محمد الآية: ١٥.

(٤) لسان العرب جـ٢ صـ١٠١٠.

(٥) تفسير القرطبي جـ٩صـ٧٧، وتفسير الألوسي جـ٢٧ صـ١٤٣.

(٦) التفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٥٩، ٢٦٠، وإعراب القرآن وبيانه جـ٩ صـ ٤٣٦.

(٧) تفسير القرطبي جـ٩ صـ ٣٨١.

(٨) سورة المرسلات الآيات ٢٩ ـ ٣٣.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ تعليل لابتلائهم، والمعنى: أنهم عذبوا بسبب ما كانوا عليه من معصية لله تعالى فهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام منهمكين في الشهوات لا يؤمنون بما جاءت به الرسل وهو توحيد الله تعالى، بل كانوا يصرون على الكفر بالله وجعل الأوثان أربابًا من دون الله [1].

وفي معنى (الحنث العظيم) أقوال [2]:

١ ــ الشرك قاله مجاهد وعكرمة والضحاك.

٢ ــ اليمين الغموس قاله الشعبي.

٣ ــ الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه.

قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ يقول تعالى مخبرًا عما كانوا يقولونه من إنكارهم البعث والنشور وأنهم كانوا يقولون هذا منكرين له ومستبعدين وقد أقسموا على عدم وقوعه، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [3].

ذكر الإمام الرازي في بيان الحكمة في ذكره تعالى سبب عذابهم، ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم، فلم يقل عز وجل أنهم كانوا قبل ذلك شاكرين، مذعنين، وذلك للتنبيه على أن الثواب منه تعالى فضل، والعقاب منه عدل، والفضل سواء ذكر سببه أم لم يذكر لا يوهم بالمتفضل نقصًا ولا ظلمًا، وأما العدل فإنه إن لم يذكر سبب العقاب يظن أنه ظلم فقال تعالى: هم فيها بسبب ترفهم وشركهم وإنكارهم للبعث) [4].

(١) تفسير القرطبي جـ٩صـ ١٧٨ والتفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٦١.

(٢) ذكر الأقوال ابن كثير في تفسيره جـ٨ صـ ١٥.

(٣) سورة النحل الآية: ٣٨.

(٤) تفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ ١٧٠.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ *لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على إنكارهم وتحقيقًا للحق) [1] والخطاب لسيدنا محمد ﷺ أي: (قل) لهم يا محمد ردًا على افتراءاتهم وإنكارهم للبعث (إن الأولين والآخرين) من الأمم كلها ومن جملتهم أنتم وآباؤكم (لمجمعون) بعد البعث من القبور (إلى ميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة [2] قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ* وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ* يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [3].

(ودخول اللام في قوله تعالى: ﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾ هو دليل القسم في المعنى أي: أنكم لمجمعون قسمًا حقًا خلاف قسمكم الباطل) [4]. وقوله تعالى: ﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾ " أفاد أنهم لما أنكروا البعث فقال تعالى أن البعث واقع مع أمر زائد وهو أنهم يحشرون ويجمعون للحساب وهذا فوق البعث فإن من بقي تحت التراب مدة طويلة ثم حشر ربما لا يكون له قدرة على الحركة ثم إن الله تعالى بقدرته يحركه بأسرع حركة ويجمعه بأقوى سير) [5].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ يدل على أن الله تعالى يجمعهم في يوم واحد معلوم واجتماع عدد من الأموات لا يعلم عددهم إلا الله تعالى في وقت واحد أعجب من نفس البعث) [6].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ *لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ المعنى: ثم إنكم أيها الضالون عن الحق المكذبون بالبعث،

(١) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٣٤.

(٢) تفسير مجمع البيان جـ٢٦ صـ ١٢٤ وتفسير روح المعاني جـ٢٧ صـ ١٤٥.

(٣) سورة هود الآيات: ١٠٣ ــ ١٠٥.

(٤) تفسير القرطبي جـ٩صـ ١٧٨.

(٥) تفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ ١٧٣.

(٦) المصدر السابق.

والوحدانية، وإخلاص العبادة له تعالى، وجحدتم نبوة نبيه محمد ﷺ آكلون يوم القيامة من شجر هو زقوم) [1] والزقوم: ما يبتلع بصعوبة، وهي شجرة تنبت في قعر جهنم جعلت فتنة للظالمين وهي كريهة المنظر والطعم، وهي المذكورة في سورة الصافات قال تعالى: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ* إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ* فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [2] (من زقوم) صفة لشجر، وقيل: بدل من قوله من شجر، وقيل: عطف بيان) [3].

قوله تعالى: ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ*فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾

المعنى: أنكم تشربون على هذا الزقوم الذي ملأتم بطونكم منه تشربون الماء الحار وهذا لشدة عطشهم فشاربون منه شرابًا كثيرًا كشراب الهيم وفي معنى الهيم أقوال [4]:

١ ــ الإبل العطاش الظماء قاله سيدنا عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة.

٢ ــ الإبل المِرَاضي، تمص الماء مصًا ولا تروي قاله عكرمة.

٣ ــ الشرب مرة واحدة من غير أن يتنفس.

٤ ــ داء يأخذ الإبل فلا تروي أبدًا حتى تموت قاله السدى.

قوله تعالى: ﴿ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ " هذا مبتدأ ونزلهم خبر ويوم الدين الظرف متعلق

(١) تفسير مجمع البيان جـ٢٦ صـ ١٣٤ والتفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٦٢ والتفسير الواضح جـ٢١ صـ ١٤٢.

(٢) سورة الصافات الآيات: ٦٢ ــ ٦٦.

(٣) أعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٣٦.

(٤) الأقوال ذكرها ابن كثير في تفسيره جـ٨ صـ ١٥.

بمحذوف حال أي كائنًا في ذلك اليوم. فالنزل: هو الأمر الذي ينزل عليه صاحبه، ومنه النزل وهو الجاري للإنسان من الخير. وفي الآية تهكم بأهل الشمال فقد سمي الجحيم وما فيه من صنوف العذاب وضروب الأهوال نزلاً تهكمًا بهم لأن النزل ما يعد للنازل تكرمة له [1] كما قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [2]. والمعنى هذا طعامهم وشرابهم وما أعد لهم من ألوان العذاب يوم الجزاء يوم القيامة. قال الإمام الرازي: إن هذا ليس كل العذاب بل هذا أول ما يلقونه وهو بعض منه) [3].

المعني الإجمالي للآيات [٤١ ــ ٥٦]

بعد بيان أحوال فريقين من الأصناف الثلاثة يوم القيامة وهما السابقون وأصحاب اليمين يصل إلى الصنف الثالث وهم: أصحاب الشمال، وهم أصحاب المشأمة الذين سبقت الإشارة إليهم في مطلع السورة عند قوله تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ بيَّن الله تعالى حالهم: هم في نار جهنم في سموم وحميم في ريح حارة من حر النار، وماء شديد الحرارة، وظل من دخان جهنم شديد السواد ليس باردًا كغيره من الظلال (قال الزمخشري:" هم في حر نار ينفذ في المسام ودخان أسود بهم ﴿لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾ نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال، سماه ظلاً ثم نفي عنه

(١) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٣٧.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٢١.

(٣) الفخر الرازي جـ٢٩ صـ ١٧٥.

برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوى إليه من أذى الحر، وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه، وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة) [1] وهذا العقاب والجزاء لهم بسبب ما كان منهم من التنعم بما لا يحل لهم، منهمكين في الشهوات مقبلين على لذات أنفسهم، " وبين سبحانه أن الترف ألهاهم عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا يتركون الواجبات طلبًا لراحة أبدانهم وسبب عذابهم أيضًا أنهم كانوا يصرون على الذنب العظيم وقيل الحنث العظيم يقصد به الشرك وكانوا بعد ذلك ينكرون البعث والنشور والثواب فيقولون أإذا خرجنا من كوننا أحياء وصرنا ترابًا انبعث فكذبوا بالبعث وأنكروه، فخاطب المولى عز وجل رسوله ﷺ وقال له قل لهم يا محمد أن الأولين والآخرين يجمعهم الله تعالى ويبعثهم ويحشرهم إلى وقت معلوم عنده عز وجل وهو يوم القيامة ثم ذكر تعالى بعض مظاهر العذاب الحسي لهم فلهم العذاب في المأكل والمشرب فسيأكلون في الآخرة من شجر الزقوم الذي هو شجر كريه المنظر كريه الطعم وشربهم يكون من الماء الحار ولشدة عطشهم يكون شربهم منه كما تشرب الإبل العطاش الظماء التي لا تروي لداء يصيبها وهذا العذاب في مأكلهم ومشربهم هو ما أعد لهم في هذا المترل في يوم القيامة هذا اليوم الذي كانوا به يكذبون وينكرون [2].

(١) الكشاف جـ٤صـ ٥٥.

(٢) ينظر تفسير مجمع البيان جـ٢٦ صـ١٢٣، ١٢٤ بتصرف.

سادسًا: بعض الأدلة على إثبات قدرة الله تعالى على البعث والجزاء

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ* أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ* أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ* نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ* أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ* أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ* لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ* إِنَّا لَمُغْرَمُونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ* لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [1]

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ﴾ بعد بيان حال الأصناف الثلاثة من المخلوقات ومصير وجزاء كل صنف منهم وجه المولى عز وجل الخطاب إلى المنكرين للبعث، وأقام الأدلة على ألوهيته وخلقه للبشر وإمدادهم بالنعم الدائمة وردَّ عليهم قولهم بامتناع البعث مرة أخرى وأقام الأدلة على بعثهم مرة أخرى فقال تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ أي نحن ابتدأنا خلقكم أليس القادر على الخلق ابتداء بقادر على الإعادة مرة أخرى فهلا تصدقون بالبعث، "و(لولا) كلمة مركبة من كلمتين معناها: التحضيض والحث والأصل فيه: لم لا) [2].

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ* أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ما تمنون أي ما

(١) سورة الواقعة الآيات: ٦٢ ــ ٧٤.

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ ١٧٦.

تقذفونه من المنى في الرحم وهو النطفة، ومعنى أأنتم تخلقونه: أي أأنتم تجعلون هذا المنى المقذوف في الرحم نفسًا سويًا أم الله الخالق له المصور له في أحسن صورة [1].

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ "حجة أخرى لإثبات البعث وقدرته عز وجل على هذا البعث،وعلى الجزاء والحساب، فالذي قدر على الخلق يقدر على الإماتة، والذي يقدر على الإماتة يقدر على البعث له مرة أخرى،ومعنى قدرنا: أي سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض. وقيل: قضينا، وقيل: كتبنا وذكر الألوسي في معناه " قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا، وإن أردنا أن نبدل أمثالكم لم يسبقنا أحد ولا غالب لنا وما نحن بمغلوبين، فنحن قادرون على موتكم، وقادرون على خلق غيركم بعد هلاكهم، وإنشاء خلقًا آخر بموصفات وهيئات غير هيئاتكم، وفيه دليل ظاهر لا شك فيه على حقيقة البعث، وعلى المحاسبة بعد الإعادة) [2].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى ﴾ أي: قد علمتم خلقكم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، وقيل: علمتم خلقكم من تراب. ﴿ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾ فهلا تتذكرون قدرة الله تعالى على البعث مرة أخرى فإن الذي قدر على الأولى قادر على الأخرى وهي أهون على الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [4]، وقوله عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ

(٢) التفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(١) ينظر تفسير القرطبي جـ٩صـ ١٨٠ وتفسير الألوسي جـ٢٧ صـ١٤٧ بتصرف ابن كثير جـ٨صـ ١٧ بتصرف.

(٢) سورة الروم الآية: ٢٧.

(٣) سورة مريم الآية: ٦٧.

يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [1].

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ* أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ* لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ الحرث هو شق الأرض وإلقاء البذر فيها. والمعنى أأنتم تنبتونه وتجعلونه رزقًا، وفي معنى الآية قال الماوردي: وتتضمن هذه الآية أمرين، أحدهما: الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم، الثاني: البرهان الموجب للاعتبار لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره وانتقاله إلى استواء حاله من العفن حتى صار زرعًا أخضر ثم جعله قويًا مشتدًا أضعاف ما كان عليه فهو بإعادة من أمات أخف عليه وأقدر وفي هذا برهان مقنع لذوي الفطرة السليمة) [2].

قوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ ذكر الزمخشري السر في دخول اللام على جواب لو في قوله تعالى: ﴿ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ قال: ويجوز أن يقال: إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب؛ وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعًا للمطعوم) [3] أي لو نشأ لجعل ذات الزرع هشيمًا لا ينتفع به في مطعم ولا غداء لفعلنا ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ في معنى تفكهون أقوال:

١ـ " تعجبون قاله سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

٢ ـ تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم قاله مجاهد.

٣ ـ تلاومون قاله عكرمة. ٤ ـ تندمون قاله الحسن والسدى " [4].

(١) سورة يس الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) تفسير الماوردي جـ ٥ صـ ٤٦٠.

(٣) الكشاف جـ٤صـ ٥٧.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ١٨.

والتفكه أصل تناول ضروب الفواكه للأكل والفكاهة: المزاح، ورجل فكه: طيب النفس وقد استعير هنا للتنقل في الحديث) [1].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ جمع مغرم والغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم، والبلاء والحب والعشق وما لا يستطاع أن يتفصى منه،ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[2] أي ملحًا دائمًا ملازمًا " [3].

وفي معنى: ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ أقوال:

١ــ معذبون قاله سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

٢ ــ لملقون شرًا قاله مجاهد. ٣ ــ مهلكون قاله مقاتل) [4].

قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي حرمنا رزقنا بهلاك زرعنا لسوء حظنا، والمحروم: الممنوع من الرزق، وهو ضد المرزوق)[5]، قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ " الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة ورأيتم فعل ماض وفاعله ومعناه أخبروني ومعنى النص القرآني أخبروني أيها الناس عن الماء العذب الذي تشربونه لإطفاء عطشكم، أأنتم أنزلتموه من السحاب، والجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لرأيتم وفي الآية يمتن المولى عز وجل على عباده بما أنعم عليهم من إنزال الماء العذب يقول تعالى أنه هو عز وجل هو المنزل للماء رحمة منه عز وجل بعبادة.

قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾. أجاجًا: أي شديد الملوحة

(١) إعراب القرآن وبيانه جـ٩ صـ ٤٣٩.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦٥.

(٣) لسان العرب جـ٥صـ ٣٢٤ وإعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٤٠.

(٤) القرطبي جـ٩صـ ١٨٢ ــ ١٨٣.

(٥) التفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٦٨ ــ ٢٦٩، وتفسير القرطبي جـ٩صـ ١٨٣.

ومرًا"[1]، قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والمعنى: لو نشاء جعلناه ملحًا مرًا لا يصلح لشرب أو زرع، فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا [2]، قال تعالى: ﴿ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3].

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ ﴾ المعنى: " أفرأيتم النار التي تستخرجونها بالقدح من الزناد أأنتم أنشأتم شجرتها التي كانوا يقدحون منها النار أم نحن المنشئون لها بقدرتنا دونكم، وكان للعرب شجرتان يقدحون بها النار، وهما: المرخ والعفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار) [4].

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ المقوين: المسافرين: المقوي من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريده، وقيل: المقوى النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد،وأقوت الدار خلت من أهلها) [5].

والمعنى: نحن جعلنا هذه النار تذكركم بالنار الكبرى نار جهنم ونفعًا للمسافرين وأهل البادية النازلين في الأراضي المقفرة أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله إن كانت لكافيه قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها)[6]. وخص المقوين لأن

(١) إعراب القرآن وبيانه جـ٩ صـ ٤٤١ وتفسير ابن كثير جـ٨صـ ١٨.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ١٨، وتفسير القرطبي جـ٩ صـ ١٨٤.

(٣) سورة النحل الآيتان ١٠، ١١.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ١٨.

(٥) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٤٠.

(٦) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة جـ٢صـ ٢١٩.

منفعتهم بها أكثر من المقيمين لأن المسافر يحتاج إلى النار، وقيل في معنى: ﴿ وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ للحاضر والمسافر ولكل طعام لا يصلحه إلا النار، وقيل: المستمتعين وللناس أجمعين ورجح ابن كثير المعنى الأخير فقال [1]:" وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فأطبح به واصطلى واشتوى واستأنس بها فلهذا أفرد المسافرين وإن كان ذلك عامًا في حق الناس كلهم وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ قال: " المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكلأ والماء" [2] وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ثلاث لا يُمنعن: الماء والكلأ والنار " [3].

قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ التسبيح: التنزيه عما لا يليق به عز وجل، والمعنى: نزه ربك العظيم الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة، ونزه عما أضافه إليه المشركون من الأنداد، والعجز عن البعث) [4].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ١٩.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٥صـ ٣٦٤.وأخرجه أبو داود في كتاب: البيوع، باب: في منبع الماء حديث رقم ٣٤٧٧ جـ٣ صـ ٢٧٨.

(٣) سنن ابن ماجه كتاب الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث جـ٦صـ ٨٢٦ ـ قال في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله موثقون، وذكر ابن كثير في تفسيره إسناده جيد، ينظر تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٢٠.

(٤) ينظر تفسير القرطبي جـ٩صـ ١٨٥ وتفسير الفخر الرازي جـ٢٩ صـ ١٨٥ والتفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٧٠ (بتصرف).

المعنى الإجمالي للآيات [٦٢ ـ ٧٤]

بعد أن ذكر أن ذكر الحق عز وجل تفصيل أحوال البشر يوم القيامة ومآل كل صنف، أقام سبحانه وتعالى الأدلة على ألوهيته بالخلق والرزق والإمداد بالنعم الدائمة وأقام البراهين الواضحة على قدرته عز وجل في البعث والنشور والجزاء والعقاب، ولتقوم الحجة على المكذبين الجاحدين لوجود خالقهم ورازقهم جلا وعلا.

يقول سيد قطب في بيان بليغ لتفسير الآيات الدالة على قدرة المولى عز وجل وبيان علاقة هذا العرض للآيات بحقيقة التوحيد وإثبات الألوهية والوحدانية لله عز وجل قال: " إن هذا القرآن يجعل من مألوفات البشر وحوادثهم قضايا كونية كبرى، يكشف فيها عن النواميس الإلهية في الوجود، وينشئ بها عقيدة ضخمة شاملة وتصورًا كاملاً لهذا الوجود.

كما يجعل منها منهجًا للنظر والتفكير، وحياة للأرواح والقلوب هذه الطريقة في تناول الأشياء، وبناء العقيدة والتفكير، ليست طريقة البشر، فالبشر حين يخوضون في هذه المجالات لا يلتفتون إلى المواد الكونية، وإذا التفتوا إليها لم يتناولوها بهذا اليسر وبهذه البساطة، بل يحاولون في وضع المسألة في قالب فلسفي تجريدي معقد، لا يصلح إلا لخطاب طبقة خاصة من الناس، أما الطريقة التي يعرضها القرآن الكريم في تناول هذه المواد الكونية وبناء العقيدة بها في يسر وسهولة فالآيات الكريمة تبين أمر النشأة الأولى ونهايتها، أمر الخلق وأمر الموت فقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ إن دور البشر في أمر الخلق لا يزيد على أن يودع الرجل ما يُمنى رحم المرأة، ثم ينقطع عمله وعملها، وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين تعمل وحدها في خلقه وتنميته، وبناء هيكله ونفخ الروح فيه وتنشئ هذا الكيان

البشري في أحسن تقويم تحت عين الخالق، حيث لا عمل للإنسان في هذا المجال، هذه هي البداية، أما النهاية فلا تقل إعجازًا ولا غرابة فهذا الموت الذي ينتهي إليه كل حي، إنه قدر الله تعالى ومن ثم لا يفلت منه أحد ولا يسبقه فيفوته أحد) [1] هذه هي النشأة الآخرة، ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الاولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: هلا تذكرون أن من قدر على النشأة الأولى، فهو أقدر على الأخرى، فإن العادة أن من صنع شيئًا ثم أعاده كان أسهل عليه.

ثم شرع سبحانه وتعالى في بيان دليل آخر على قدرته عز وجل وأنه هو الخالق والقادر على إحياء الموتى بالبعث فقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أي أخبروني عما تحرثون، أأنتم تنبتونه وتنشئونه حتى يكون فيه السنبل والحب ومختلف أنواع الثمار أم نحن الفاعلون لذلك، والإجابة: بل أنت يا رب، ويبين المولى عز وجل أن هذا الزرع وما فيه من النبات المثمر هو بقدرته تعالى فلولا قدرته تعالى لربما تعفن الحب مع الطين و لم يخرج نباتًا طريًا غضًا ولكنها قدرة المولى عز وجل ولو يشاء المولى عز وجل بعد خلقه لجعله هشيمًا متكسرًا لا غلة ولا خير ولا ينتفع به ولو جعلناه كذلك فصرتم تتعجبون من سوء حاله قائلين: إننا لخاسرون مغرمون هالكون بهلاك أرزاقنا محرمون من عطاء الله. وتبين الآيات نعمة أخرى من نعم الله عز وجل على عباده وهي نعمة نزول الماء الذي نشربه أفرأيتم الماء الذي تشربونه، أأنتم أنزلتموه من السحاب أم نحن المنزلون؟ الله عز وجل وحده القادر على إنزال المطر وإخراج الماء من البحار على هيئة البخار حالة كونه نقيًا صافيًا من كل شيء ثم جمعه في السحاب ثم إنزاله مطرًا يصيب به من يشاء من عباده " [2] ولو أراد المولى عز وجل أن يجعل هذا الماء

(١) ينظر تفسير في ظلال القرآن جـ٦صـ ٣٤٦٧ ـ ٣٤٦٨ بتصرف.

(٢) ينظر التفسير الواضح جـ٢٧ صـ ١٤٥.

الصالح للشرب، هذا الماء العذب لو أراد أن يجعله ملحًا لا يصلح لشرب ولا زرع هل يستطيع أحد منع هذا، فبعد ظهور ووضوح هذه النعمة فهلا تشكرون نعمة الله الذي خلق لكم الماء بهذه الكيفية ثم بعد ذلك تنتقل الآيات إلى بيان نعمة أخرى من نعم الله تعالى على عباده وهي النار وخلقها بهذه الكيفية في الدنيا لتكون أداة خير ورحمة للبشر فقد خلق النار وجعلها أولاً تذكرة لحر جهنم الكبرى ليتعظ المؤمن، ونفعًا للمسافرين وأهل البادية النازلين في الأراضي المقفرة وفي هذا بيان أن النار من العناصر المهمة للإنسان كالماء والهواء وبعد تعداد وبيان هذه النعم من الخالق القادر الرحيم بعباده إذا كان الأمر كذلك ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أي: " بعد عرض هذه الحقائق والأسرار، الناطقة بدلائل الإيمان الميسرة للقلوب والأذهان، وإلى ما تنتهي إليها هذه الحقائق، وهي حقيقة وجود الله وعظمته وربوبيته بهذه الحقائق الفطرة السليمة عليها أن تسبح باسم الله العظيم أي تنزه سبحانه عن كل نقص، وعما أضافه إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث تعالى الله عما يقولون [1].

(١) ينظر تفسير في ظلال القرآن جـ٦صـ ٣٤٧٠.

سابعًا: هذا هو الحق اليقين

قال تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ* أَفَبِهَـذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ* وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ* فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ* وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ* فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ* تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ* فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [1].

قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (لا) صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى: فأقسم بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ ﴾ وقال الفراء: هي نفي والمعنى ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف (أقسم) وقيل: (لا) تزاد قبل القسم كقولك لا والله لا أفعل ولا والله ما كلمت زيدًا) [2] [وجاء القسم على هذا النحو (فلا أقسم) بالنفي لأن العرب تزيد (لا) قبل فعل (أقسم) كأنه ينفي ما سوى المقسم عليه، فيفيد التأكيد، وورد القسم على مثال ذلك كثيرًا في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ*وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ وَلا أُقْسِمُ

(١) سورة الواقعة الآيات ٧٥ ــ ٩٦.

(٢) تفسير القرطبي جـ٩صـ ١٨٦.

(٣) سورة الانشقاق الآية ١٦.

(٤) سورة القيامة الآية ١.

بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [1].

ويرى بعض المفسرين أن (لا) ليست زائدة لا معنى لها، بل يؤتي بها في أول القسم إذا كان مقسمًا به على منفى) [2].

(مواقع النجوم) في المعنى عدة أقوال:

١ ــ نجوم القرآن قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة فهو قوله: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾.

٢ ــ مواقع النجوم في السماء قاله مجاهد.

٣ ــ مطالعها ومشارقها قاله الحسن.

٤ ــ منازلها قاله قتادة.

٥ ــ قيل إن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة.

٦ــ حكى الفراء عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن مواقع النجوم هو محكم القرآن) [3].

جاء في سبب النزول للآية ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ما أخرجه الإمام مسلم عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال مُطِر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا: هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم: لقد صَدَق نَوْءُ كذا فنزلت الآيات ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ حتى بلغ

(١) سورة القيامة الآية ٢.

(٢) التفسير المنير جـ٢٧ صـ٢٧٨، وتفسير ابن كثير جـ٨ صـ٢٠ ــ٢١ بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٢١،والقرطبي جـ٩صـ ١٨٦.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١).

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: " صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماءٍ كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر: فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب " (٢).

وخص القسم بمساقط النجوم لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يزول تأثيره لذا استدل إبراهيم عليه السلام بالأفول على وجود الإله، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

إخبار من الله تعالى بأن هذا القسم الذي ذكره بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمه لانتفعتم بعلمه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ هذا هو المقسم عليه والمعنى: إن هذا القرآن الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ لكتاب عظيم لما فيه من الهدى والعلم والحكمة ولما فيه من سعادة البشر في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٤).

والمناسبة واضحة بين المقسم به وهو النجوم وبين المقسم عليه وهو القرآن لأن النجوم

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء جـ١ صـ٨٤ .
(٢) صحيح البخاري كتاب الآذان باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم جـ١صـ ١٥٣.
(٣) سورة الأنعام الآية: ٧٦.
(٤) سورة المائدة الآيتان ١٥، ١٦.

تضيء الظلمات وآيات القرآن تنير الطريق وتبدد ظلمات الجهل والضلالة) (١).

وفي معنى كلمة (كريم) ذكر الإمام الفخر الرازي قوله (كريم) فيه لطيفة، وهي أن الكلام إذا قرئ كثيرًا يهون في الأعين والآذان، ولهذا ترى من قال شيئًا في مجلس الملوك لا يذكره ثانيًا قال تعالى: ﴿كريم﴾ أي لا يهون بكثرة التلاوة ويبقى أبد الدهر كالكلام الغض، والحديث الطري، ومن هنا يقع أن وصف القرآن بالحديث مع أنه قديم يستمد من هذا مددًا، فهو قديم يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة والكريم اسم جامع لصفات المدح، قيل: الكريم هو الذي كان طاهر الأصل ظاهر الفضل حتى إن من أصله غير زكي لا يقال له كريم إلا مع تقييد، فيقال هو كريم الأصل لكنه خسيس في نفسه، ثم إن السخي المجرد هو الذي يكثر عطاؤه للناس أو يسهل عطاؤه ويسمى كريمًا، وإن لم يكن له فضل آخر لا على الحقيقة ولكن ذلك لسبب وهو أن الناس يحبون من يعطيهم ويفرحون بمن يعطي أكثر مما يفرحون بغيره، فالقرآن أيضًا كريم بمعنى طاهر الأصل ظاهر الفضل لفظه فصيح ومعناه صحيح، والقرآن أيضًا كريم على مفهوم العوام فإن كل من طلب منه شيئًا أعطاه، فالفقيه يستدل به، ويأخذ منه، والحكيم يستمد به ويحتج به، والأديب يستفيد منه ويتقوى به، والله تعالى وصف القرآن بكونه كريمًا وبكونه عزيزًا وبكونه حكيمًا، فلكونه كريمًا كل من أقبل عليه نال منه ما يريده) (٢).

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ* تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الكتاب المكنون قيل: "هو اللوح المحفوظ أثبت الله تعالى فيه القرآن الكريم فحفظه وصانه فيه، وقيل: معظم محفوظ عن التبديل والتغير وهو المصحف الذي بأيدي المسلمين)(٣)

(١) التفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٧٩.
(٢) الفخر الرازي جـ ٢٩ صـ ١٩٢.
(٣) تفسير روح المعاني جـ٩صـ ١٥٣،وتفسير مجمع البيان جـ٢٦ صـ١٣٢، وتفسير القرطبي جـ٩ صـ ١٨٧ (بتصرف).

﴿ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ في المعنى أقوال:

١ ــ لا يمسه إلا الملائكة قاله سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعكرمة، وسعيد بن جبير فهم المطهرون من الذنوب.

٢ ــ وقيل لا يمسه إلا المطهرون في حكم الله.

٣ ــ لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به.

٤ ــ لا يمسه الشياطين قال ابن زيد زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر المولى عز وجل أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ* وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ* إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (١).

٥ ــ لا يمسه إلا المطهرون من الجنابة والحدث قاله قتادة (٢).

وأخذ الفقهاء من معنى النص القرآني أحكام فقهية تتعلق بمس القرآن، " استدل الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة بالآية وقالوا: لا يجوز لجنب أن يمس القرآن ما قل منه أو كثر، واستدلوا على قولهم بما جاء في الكتاب والسنة والمعقول. أما الكتاب فهو قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٣) فهو يدل بعمومه على تحريم مس القرآن للجنب وذلك لأن الجنب فاقد للطهارة، أما السنة فمنها ما أخرجه البيهقي عن عمرو بن حزم أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات فذكر الحديث وفيه قال ﷺ: " ولا يمس القرآن إلا طاهرًا " (٤). أما المعقول فهو أن تعظيم القرآن وتقديسه واجب وليس من ذلك أن يُمس القرآن من قبل الجنب وإذا كان أكثر العلماء قد قال: ليس لغير المتوضئ أن يمس القرآن فلا جرم أن يكون تحريم

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٢.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٢١ ــ ٢٢،تفسير القرطبي جـ٩ صـ٨٩.

(٣) سورة الواقعة الآيتان ٧٨، ٧٩.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي كتاب الطهارة باب نهي المحدث عن مس المصحف جـ١صـ ١٥١.

مسه على الجنب أولى) (١).

أما أهل الظاهر فقد خالفوا العلماء في هذه المسألة إذ قالوا: "يجوز للجنب أن يمس القرآن وقالوا: إن الآثار التي احتج بها من لم يُجز للجنب مس القرآن لا يصح منها شيء، لأنها إما مرسلة، وإما صحيفة مثل الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: أن لا يمس القرآن إلا طاهر وهو مرسل، واحتجوا على جواز المس للجنب بما رواه ابن عباس رضي الله عنه عن أبي سفيان أنه أخبره أنه كان عند هرقل، فدعا هرقل بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصري، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه " بسم الله الرحم الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) فهذا رسول الله ﷺ قد بعث كتابًا وفيه هذه الآية إلى النصارى وقد أيقن أنهم يمسون ذلك الكتاب. وأما استدلال الجمهور بآية ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ فقالوا هذا لا حجة لهم فيه لأنه ليس أمرًا وإنما هو خبر، والله تعالى لا يقول إلا حقًا ولا يجوز أن تصرف لفظ الخبر إلى معنى الأمر إلا بنص جلي أو إجماع متيقن فلما رأينا المصحف يمسه الطاهر وغير الطاهر علمنا أنه عز وجل لم يعن المصحف وإنما عني كتابًا آخر وهو الذكر الذي في السماء لا يمسه إلا الملائكة) (٣).

والمرجح عند العلماء أن المراد من الكتاب: الكتاب الذي بأيدي الملائكة (اللوح المحفوظ)

(١) المهذب جـ١صـ ٣٦، بداية المجتهد جـ١ صـ٤١ ــ ٤٢.

(٢) مسلم جـ٥ صـ ١٥٦ والبخاري جـ٤ صـ ٥٧ وسورة آل عمران الآية: ٦٤.

(٣) البدائع جـ١صـ ١٥٦،والمغني جـ١ صـ١٤٧، المحلى جـ١ صـ ٨١ ــ ٨٤.

قال تعالى: ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ* مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾[1] والآية سيقت تنزيها للقرآن عن أن تنزل به الشياطين ولأن قوله تعالى: ﴿ مَّكْنُونٌ ﴾ معناه مصون مستور عن الأعين لا تناله أيدي البشر، فالمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ. أما المصحف فإنه في الدنيا يمسه المجوسي النجس والمنافق وغيرهم) [2].

والرأي الراجح هو الرأي القائل بان المراد بالكتاب هو اللوح المحفوظ لواقعية دليله.

قوله تعالى﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي نزل من رب العالمين الذي خلق الخلائق وأرسل إليهم هذا الكتاب المصون من التغير والتبديل. قوله تعالى: ﴿ أَفَبِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي والفاء عاطفة أي أبهذا القرآن الموصوف بالأوصاف الأربعة السابقة في قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ* تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وبهذا متعلقان بـ(يدهنون) و(الحديث) بدل من اسم الإشارة، و(أنتم) مبتدأ؛ و(مدهنون) خبر [3].

والمراد بالحديث: القرآن الكريم والإدهان في الأصل الإبقاء يقال: لا تدهن عليه، أي لا تبق عليه وقال الجوهري: الإدهان: المصانعة وقال قوم: داهنت بمعنى واريت وأدهنت بمعنى: غششت وقيل الإدهان: المقاربة في الكلام والتليين في القول) [4]

وجاء في معنى قوله تعالى: ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أقوال:

١ ــ ما روي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أي: مكذبون غير مصدقين.

٢ ــ قال مجاهد: أي: تريدون أن تمالنوهم فيه وتركنوا إليهم.

(١) سورة عبس الآيات ١٣ ــ ١٦.

(٢) اختلاف العلماء في حكم مس المصحف ينظر المراجع التالية:
١ ــ المغني لابن قدامة. ٢ ــ بداية المجتهد. ٣ ــ المهذب.

(٣) إعراب القرآن وبيانه جـ٩صـ ٤٤٦.

(١) لسان العرب جـ٢صـ ١٤٤٧.

٣ ــ قال الضحاك: معرضون.

٤ ــ قيل: منافقون على التصديق به أي تقولون آمنا به وتدهنون فيما بينكم وبين المشركين) [1].

قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾.

المعنى: وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم إنكم تكذبون وبذلك تضعون التكذيب موضع الشكر، وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه: معناه وتجعلون شكركم، روي مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: مُطِرَ الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، فقالوا هذه رحمة وضعها الله تعالى، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فنزلت هذه الآيات ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [2].

والنوء: النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء، وقيل معنى النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها) [3]. قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ* وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ أي فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم حين الاحتضار وأنتم تنظرون ما ينزل بكم من أمر الله تعالى والخطاب في

(١) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٢٢،وتفسير القرطبي جـ٩صـ ١٨٩، وتفسير مجمع البيان جـ٢٦ صـ ١٣٢.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء جـ١صـ ٥٩،وينظر أسباب النزول للواحدي صـ ٢٣١ ــ ٢٣٢.

(٣) لسان العرب جـ٦ صـ٤٥٦٧.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ﴾ لأهل الميت وأنهم ينظرون إلى من يحتضر ولا يمكنهم فعل شيء أو لا يرون ما يحيط بهذا المحتضر. قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ﴾ "يخبرنا المولى عز وجل أن الإنسان حين الاحتضار ويكون موجود معه الأقارب ينظرون إليه ويرون ما يكابده من سكرات الموت في هذا الوقت يكون قريبًا منه المولى عز وجل بالعلم وبالقدرة وبملائكته التي تتولى قبض روحه) [1].

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ* تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الخطاب للقوم الذين أنكروا البعث والنشور وقالوا أن حياتهم وموتهم بأيديهم فقيل لهم "فهلا إن كنتم غير محاسبين ولا مبعوثين تمنعون موته وترجعون الروح التي قد بلغت الحلقوم إلى مقرها الذي كانت فيه إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم لن تبعثوا وأنكم غير مملوكين للخالق فلِمَ لا ترجعون الأرواح إلى أجسادها حين بلوغها الحلقوم ؟ وإن صدقتم البعث فردوا روح المحتضر إلى جسده ليرتفع عنه الموت فينتفي البعث ؟ أي: إن تحقق الشرطان أو الوصفان منكم: إن كنتم غير مدينين، وإن كنتم صادقين فردوا روح الميت إليه [2].

ونظير الآية قوله تعالى: ﴿ كَلا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ* وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ* وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [3].

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ يبين المولى عز وجل صفات الخلق وأحوالهم عند الموت، وكما قسمهم إلى ثلاثة أصناف في الدنيا: ١ ــ السابقون.

(١) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٢٥،وتفسير مجمع البيان جـ٢٦ صـ١٣٣ بتصرف.

(٢) التفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٨١.

(٣) سورة القيامة الآيات: ٢٦ ــ ٢٩.

٢ ــ أصحاب اليمين. ٣ ــ أصحاب الشمال.

ذكر هنا أحوال الناس عند الاحتضار إلى ثلاثة أصناف فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ "أي إن كان المحتضر من السابقين وهم الذين فعلوا الخيرات والطاعات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات وهم المذكورون أول السورة [1] فلهم من الله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ وفي معنى ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ أقوال:

١ ــ راحة من الدنيا (وريحان) ورزق قاله سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير.

٢ ــ الاستراحة قاله مجاهد.

٣ ــ الفرح قاله السدى.

٤ ــ جنة ورخاء.

٥ ــ رحمة. قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فتقبض روحه فيه.

٦ــ وقيل: الروح الهواء الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهم، (وريحان) هو الريحان المشموم من ريحان الجنة، يؤتى به عند الموت فيشمه وقيل: روح في القبر، وريحان في الجنة) [2].

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: " إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت

(١) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٢٦.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٨صـ ٢٦،وتفسير روح البيان جـ٢٦ صـ١٣٥.

في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان) [1] وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن) [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ أي بستان ينعم فيها ويتلذذ بأنواع الثمار والفواكه فيها.

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم فتبشرهم الملائكة بذلك وتقول لهم سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين لا بأس عليك أنت إلى سلامة وأنت من أصحاب اليمين ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ* نُزُلا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [3].

قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ لما أخبر الله تعالى ما للسابقين من أنواع الثواب والنعيم وبين ما لأصحاب اليمين من الخيرات والثواب. أخبر بما للكفار المكذبين بيوم الدين المنكرين للبعث والنشور من العقاب، فإن كان المحتضر من الصنف الثالث من أصحاب الشمال المكذبين بالبعث والضالين عن الهدى فمنزلهم الذي أعد لهم من الطعام والشراب من ماء شديد الحرارة ولهم أيضًا إحراق بنار جهنم تحرقهم.

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٢صـ ٣٦٤، ٣٦٥،والحديث إسناده صحيح وصححه ابن حبان جـ٧صـ ٣٠١٣، صـ ٣٠١٤، والحاكم جـ١صـ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره جـ٨صـ ٢٦.

(٣) سورة فصلت الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أي هذا الخبر المذكور من منازل هؤلاء الأصناف الثلاثة هو الحق الذي لاشك فيه وأضاف الحق إلى اليقين وهما واحد للتأكيد. فهو يقين لا شبهة فيه ولا شك فيه.

قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن يتره الله تعالى عما لا يليق به ويذكره باسمه العظيم. روي عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم " [1] وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " [2].

المعنى الإجمالي للآيات [٧٥ ـ ٩٦]

أكد المولى عز وجل ما تقدم ذكره بقوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ والمعنى فأقسم بمطالع النجوم ومساقطها وقيل معناه: أقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقًا نجومًا وعلى القولين فالقسم من الله عز وجل بآية من آيات الله عز وجل فالقسم بمواقع النجوم وهي مساقطها ومغاربها فيه من آيات الله الكبرى فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ وعلى الرأي الثاني: القسم بنزول القرآن

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٤صـ ١٥٥، وأخرجه أبو داود كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده جـ١صـ ٢٣٠،وابن ماجه كتاب الإقامة باب التسبيح في الركوع والسجود جـ١صـ ٢٨٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن جـ٤ صـ٣١١.

وهو آية من آيات الله عز وجل فنزول القرآن من السماء الدنيا بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فهذا النزول آية كبرى عظيمة وقال عز وجل بعد ذلك ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أي أن الذي تلوناه عليك وأنزلناه عليك لقرآن كريم أي عام المنافع كثير الخير ينال الخير والأجر العظيم بتلاوته بما فيه وقيل كريم لأنه عند الله تعالى أكرمه الله تعالى وأعزه لأنه كلامه عز وجل ولأنه محفوظ عن التغيير والتبديل فهذا الكتاب مستور مصون لا يمسه إلا الملائكة المقربين لا يطلع عليه سواهم فهم المطهرون من جميع الأدناس وما سواها وقيل لا يمسه إلا المطهرون من البشر والرأي الأول هو الصحيح بدليل أنه قد يمسه الجنب والكافر وغيرهم. فبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته هنا أنتم أيها الكفار متهاونون ومكذبون به وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم أنكم تكذبون به، وقيل معناه وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به "[1].

ثم وبخ الله تعالى المشركين على ما يعتقدون فقال تعالى: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ.. ﴾ أي " فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلق حين الاحتضار وأنتم ترون المحتضر قد قارب فراق الحياة، تنظرون إليه وما يكابده من سكرات الموت ونحن بالعلم والقدرة والرؤية وبملائكتنا أقرب إليه منكم ولكن لا ترون الحقيقة.

وقال الزمخشري في المعنى " أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء، إن أنزل عليكم كتابًا معجزًا قلتم سحر وافتراء وإن أرسل إليكم رسولاً قلتم ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرًا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحي المميت المبدئ المعيد فإن كان المتوفى من السابقين من

(١) ينظر تفسير روح البيان جـ٢٦ صـ ١٣٢.

الأزواج الثلاثة المذكورة في أول السورة (فروح) فله استراحة وله الرحمة وله البقاء والنعيم المعاني كلها اللفظ القرآني يحتملها ولا يوجد تناقض في المعاني وسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين: أي يسلمون عليك كقوله تعالى: ﴿إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا﴾[1] وإن كان المتوفى أو المحتضر من المكذبين وهم أصحاب الشمال، فله نزل بعد له من الماء الشديد الحرارة بعد أن يأكل من الزقوم ثم يزج في النار التي تغمره من جميع جهاته. وفي ختام السورة يذكر المولى عز وجل ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ وهو ما ذكر في السورة هو الحق الثابت الذي لا شك فيه ثم أمر نبيه ﷺ بأن يسبح باسم الرب العظيم أي: نزه الله عما لا يليق بشأنه عز وجل.

(٢) ينظر تفسير الكشاف جـ٤صـ ٥٩ ـ ٦٠ والتفسير المنير جـ٢٧ صـ ٢٨٠.

الخاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف النبين وإمام المرسلين سيدنا محمد النبى المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـــــد

فإن القرآن الكريم هو النور الذى يهدى البشرية إلى خالقهم المولى عز وجـــل، ويـــربط قلوب الناس بشرعه وهداه، إن هذه السورة الجليلة بكل ما احتوته من معانى عالية، فقـــد عالجت السورة قصة النشأة الآخرة وردت على قول الشاكين فيها ووصـــفت الـــسورة مشاهد من يوم القيامة وذكرت من أحداث هذا اليوم ما يميزه عن كل يوم حيث تتبـــدل الأرض وتتناثر الجبال، ويقسم المولى عز وجل الناس في هذا الموقف العظـــيم إلى ثلاثـــة أقسام:

١ ــ السابقون. ٢ ــ أصحاب اليمين. ٣ ــ أصحاب الشمال. وبيان ما أعـــد لهـــؤلاء جميعًا ثم بعد ذلك تبدأ الآيات الكريمة في عرض قضية العقيدة وتوحيـــد الله عـــز وجـــل والتأكيد على أمر البعث وأنه واقع لا محالة ودلت الآيات الكريمة على قدرة الله عز وجل وذلك بعرض أشياء ومشاهد يراها الإنسان في حياته بداية من نشأته ثم نموه ثم موته وذلك العرض لهذه النشأة الأولى للدلالة على النشأة الآخرة فالذي قدر على الخلق من العدم أقدر على البعث وتعرض الآيات صورة من صور الحياة الدنيا يشاهدها البشر في كل مراحـــل حياته وهي صورة الماء ووصوله إليه بهذه الصورة الجميلة التي تدل على عظيم نعم الله عز وجل، فهذا الماء العذب الذي تنشأ به الحياة كلها هو معلق بقدرة الله تعالى يتزله بقدرتـــه يتزله بهذه الكيفية ولو شاء ما أنزله هكذا ولكنها رحمة الله تعالى بعباده وتتعدد نعـــم الله على عباده حتى يدرك الإنسان عظيم نعمه تعالى عليه وتبين الآيات الكريمة ما أعـــده الله

تعالى لعباده المؤمنين الطائعين المتبعين لشريعته، وتختم الآيات الكريمة تتزيه المولى عز وجل عن كل نقص، وتتوعد الآيات ما أعده الله تعالى للكفار المكذبين الضالين.

وتأمر الرسول ﷺ بالتسبيح والتعظيم لله عز وجل والأمر يعم أمته كذلك.

المراجـــــع

١ ــ القرآن الكريم.

٢ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي ــ مؤسسة جمال للنشر ــ بيروت ــ لبنان.

٣ ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف.

٤ ــ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف. محمد السيد بسيوني بن زغلول ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٥ ــ المفردات في غريب القرآن ــ تأليف أبي الحسن الحسن بن محمد ــ طبعة مصطفى البابي الحلبي، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ــ طبعة دار المعرفة ــ بيروت..

٦ ــ لسان العرب لابن منظور ــ طبعة دار المعارف.

٧ ــ إعراب القرآن وبيانه. محي الدين الدرويش ــ طبعة دار اليمامة ــ بيروت ــ دار ابن كثير ــ دمشق.

٨ ــ أسباب النزول لأبى الحسن الواحدى النيسابورى ــ طبعة المكتبة الثقافية ــ بيروت.

٩ــ الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله بن عبد الله بن محمد القرطبي ــ طبعة دار الحديث القاهرة.

١٠ــ البحر المحيط لأبى حيان ــ طبعة دار الفكر وطبعة مكتبة النصر الحديثة ــ الرياض.

١١ ــ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للألوسى ــ طبعة دار الفكر ــ بيروت.

١٢ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود ــ طبعة دار الفكر ودار إحياء التراث العربى ــ ط ثانية.

١٣ ــ النكت والعيون للماوردى ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٤ ــ في ظلال القرآن لسيد قطب ــ طبعة دار الشروق.

١٥ ــ الكشاف للإمام الزمخشري ــ طبعة شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي.

١٦ ــ التفسير الكبير للفخر الرازي ــ طبعة دار إحياء التراث العربى.

١٧ ــ مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ــ طبعة منشورات مكتبة الحياة.

١٨ ــ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ــ طبعة دار الشعب وطبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث .

١٩ ــ تفسير النسفي للإمام النسفي ــ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٠ ــ التفسير المنير. د. /وهبه الزحيلى ــ طبعة دار الفكر ــ بيروت ــ دمشق.

٢١ ــ التفسير الواضح. محمد محمود حجازى ــ طبعة الاستقلال الكبرى.

٢٢ ــ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ــ طبعة دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٢٣ ــ صحيح البخارى ــ طبعة دار الحديث.

٢٤ ــ سنن الترمذى ــ طبعة دار الكتب العلمية.

٢٥ ــ المستدرك على الصحيحين للحاكم ــ طبعة دار المعرفة ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية.

٢٦ ــ صحيح مسلم ــ طبعة دار الحديث وطبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٧ ــ مسند الإمام أحمد ــ طبعة دار صادر ــ بيروت وطبعة المكتب الإسلامى.

٢٨ ــ سنن ابن ماجه ــ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٩ ــ سنن أبى داود ــ طبعة المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت.

٣٠ ــ البيان فى عد آى القرآن أبو عمر عثمان بن سعد الأموى ــ طبعة مركز المخطوطات والتراث ــ الكويت ــ ط الأولى ــ تحقيق غانم قدورى الحمد.

٣١ ــ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز مجد الدين يعقوب الفيروزابادى ــ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٣٢ ــ بدائع الصنائع للكاسانى ــ طبعة الناشر زكريا على يوسف.

٣٣ ــ المغنى لابن قدامة ــ طبعة دار إحياء التراث ــ بيروت.

٣٤ ــ المحلى.

٣٥ ــ المهذب للفيروزأبادى الرازى ــ طبعة دار الفكر.

٣٦ ــ بداية المجتهد الإمام أبى الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبى ــ طبعة شركة مصطفى الحلبى.

٣٧ ــ السلسلة الضعيفة ــ طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ــ الرياض.

٣٨ ــ فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ــ طبعة دار الريان للتراث.

٣٩ ــ السنن الكبرى للبيهقى ــ دار الفكر للطباعة والنشر.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

المقدمة عن السورة ويشمل: ٥١٧

١- تمهيد بين يدي السورة ٥١٩

٢- ما جاء في فضل السورة ٥٢١

موضوعات السورة:

١- قيام القيامة ٥٢٢

٢- أصناف الناس يوم القيامة ٥٢٨

٣- أنواع نعيم السابقين ٥٣٤

٤- أنواع نعيم أصحاب اليمين ٥٤٢

٥- أنواع عذاب أهل الشمال ٥٤٨

٦- بعض الأدلة على إثبات قدرة الله تعالى ٥٥٥

٧- هذا هو الحق اليقين ٥٦٤

الخاتمة ٥٧٨

المراجع ٥٨٠

* * *